

## المحاضرة الثامنة: نشاط الحزب الشيوعي وجمعية العلماء ومحطة جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها (1945 - 1954)

### أ. الحزب الشيوعي الجزائري:

عرف الحزب الشيوعي الجزائري في سنة 1946 هو الآخر تحولا في مواقفه حول القضية الوطنية، فبعد أن كان مناضلوه أثناء الحرب العالمية الثانية شديدي العداء لمناضلي حزب الشعب الجزائري يصفونهم بالنازيين، أصبحوا يتقربون إليهم بعد نهايتها، ففي مقالاتهم حول 8 ماي 1945، أكدوا القمع ونشروا قوائم للرهائن المدومين، كما أدانوا الإدماج وأكدوا ضرورة اتحاد جميع الجزائريين دون تمييز بسبب العرق واللغة والدين، كما سعوا إلى تجميع القوى الديمقراطية من أجل تحقيق الاتحاد مع شعب فرنسا غير أنه من جهة أخرى فإن المؤتمر الثالث للحزب قد وضع على نفس الخط الأقلية الأوروبية التي كانت تريد الحفاظ على جهاز إداري رجعي، وعلى عدم المساواة المسيئة وفرض تدابير لمصلحة ملاك الأراضي والمناجم والبنوك لوحدهم، وأنصار الجزائر العربية الذين يزعمون توحيد الإقطاعي المستغل والفلاح البائس ضد الأوروبيين دون تمييز.<sup>(1)</sup>

وكانت انتخابات المجلس التأسيسي الثاني في 2 جوان 1946 مناسبة سعى فيها الشيوعيون إلى تحقيق الاتحاد مع أحباب البيان، حيث أرسلوا لهم بمقترحات مشروع مشترك، يضم بالخصوص إدانة الإدماج والاعتراف بالأصالة الجزائرية، وانتخابات مجلس جزائري عن طريق الاقتراع العام مع تكافؤ الممثلين في الهيئتين، كما تحجج الشيوعيون بالاتحاد الحر والمثمر بين الجزائر وشعب فرنسا. غير أن نداءهم هذا لم يجد صدى ولم يثق الوطنيون بهم وفي تغير موقفهم، خصوصا وأنهم لم ينسوا لهم انتقاداتهم بعد ماي 1945، وقد كشفت انتخابات جوان قوة التيار الوطني الجزائري، وهو ما لاحظته "أندري مارتى" (André Marty)<sup>(2)</sup> عندما كتب: ((القضية الوطنية تسيطر على الحياة الجزائرية كلها))، كما أندش من تراجع الحزب الشيوعي (من 135357 صوت في 1945 إلى 53396 صوت).<sup>(3)</sup>

ونتيجة لفشلهم في انتخابات 1946 شرع الشيوعيون في عملية نقد ذاتي جاد، فقد اعترفوا بأن مجلسا جزائريا ديمقراطيا هو تطلع مشروع بالنسبة للجماهير الجزائرية، كما اهتموا بالقضية الوطنية وبالوطنية وطالبوا وزير الداخلية الإطلاق الفوري لسراح مصالي الحاج وبدون شروط، ومن جهة لم يتخلصوا بعد من التعريف الذي قدمه "موريس ثوريز" (Maurice Thorez) الأمين العام للحزب الشيوعي الفرنسي سنة 1939 حول الأمة الجزائرية التي قال عنها أنها: في طور التكوين، وتأثرا بهذه الأطروحة أكد "عمار أوزقان" في جريدة ليبارتي (Liberté) ليوم 6 جويلية 1946 بأن الحزب الشيوعي الجزائري هو حزب الأمة الجزائرية التي تكون، وأن الجزائريين هم من كل الأصول الذين يسكنون جنبا إلى جنب فوق أرضنا يشكلون مجتمعا وطنيا حيث لا يحق لأي عرق أن يزعم بأنه هو العرق المختار وأن يستأثر بالسيطرة لنفسه.<sup>(4)</sup>

لقد انضم الحزب الشيوعي إلى معظم أطروحات الحركة الوطنية بما فيها أطروحة الاستقلال الفوري، حيث في هذا الشأن وأثناء الحرب الباردة ندد الشيوعيون أكثر من ذي قبل بالاستقلال الزائف الذي لا زيد فقط إلا في تقوية الإمبريالية الشيوعية، فأثناء انتخابات الجمعية الجزائرية في 1948 أكد الحزب الشيوعي بوضوح أن شعار الاستقلال لن يكون خيارًا صحيحًا لأن ذلك يتجه نحو جعل الجزائر تمر مباشرة تحت مخالب الإمبريالية الأمريكية السيد الحقيقي للإمبريالية الفرنسية التي ضعفت بشكل معتبر. وفي شهر جانفي 1949 فشلت محادثات مع حركة انتصار الحريات الديمقراطية لأن الحزب الشيوعي رفض كعادته شعار الاستقلال، ورغم ذلك فإنه اقترح بقلم "الصادق هجرس" و"مبروك بلحسين" تشكيل حركة وطنية مركزية، وهو الاقتراح الذي لقي قبولًا حسنًا من طرف بعض أعضاء حزب الشعب الذين لم يكونوا رافضين لفكرة الجبهة الوطنية الديمقراطية الجزائرية، كما فشلت أيضا محاولة أخرى للتقارب في شهر ديسمبر 1949 بمشاركة حركة انتصار الحريات الديمقراطية في المؤتمر العالمي للمناضلين من أجل السلم والحرية لما طالب الحزب الشيوعي الجزائري بأسبوع من النضال ضد تحضيرات الكتلة الغربية للحرب على الاتحاد السوفياتي، أما الوحدة على المستوى المحلي كانت محققة أحيانًا.<sup>(5)</sup>

مهما يكن من أمر؛ فإن الشيوعيين نتيجة لفشلهم في الانتخابات المتتالية اتخذوا من عمار أوزقان ككبش فداء وطردوه من الحزب في شهر ديسمبر 1947 بعد أن مارسوا عليه ضغوطات دفعته إلى الاستقالة، وهو الذي كان ناطقًا باسمهم وممثلًا لهم في الأوساط الإسلامية وحملوه مسؤولية فشل سياستهم في الجزائر وأخطائهم تجاه القضية الجزائرية، ولم تشفع له مسؤوليته كأمين عام للحزب من صيف 1943 إلى جويلية 1946 رغم أنه حريص على تطبيق تعليمات وتوجهات الأمين العام الفعلي "أندي مارتني".<sup>(6)</sup>

ورغم ذلك فإن الحزب الشيوعي الجزائري قد تعرّب بصورة واضحة إلى حدّ جذب وطنيين شباب من حركة انتصار الحريات من أمثال: "الصادق هجرس" و"بوعلام خلفه" و"عمر أوصديق" ومتقنين من الطبقات المتوسطة، وسهل هذا انغراسه في الوسط الإسلامي على الرغم من مواقفه المناهضة للجامعة العربية ولجنة التحرير في القاهرة أو موقفه الداعم لقيام دولة إسرائيل، كما أصبح يستعمل اللغة العربية في دعايته، فكان ينشر كثيرا من الدوريات باللغة العربية ومنها (الجزائر الجديدة)، كما كان يقوم بطبع رزنامات وتقويمات تتغنّى باللغة بأمجاد الجزائر المسلمة من أمثال: "بربروس" والأمير "عبد القادر" و"المقراني". وأخذ مناضلوه ينظمون المهرجانات المتنقلة في الدواوير والأرياف خصوصا في شهر رمضان. وكذلك عبر العمل النقابي للكونفدرالية العامة للشغل (GGT)، فكان الحزب يضم عمال الميناء وعمال المناجم والعمال والفلاحين الذين يمثلون العدد الأكبر من النقابيين.<sup>(7)</sup>

ظل الحزب الشيوعي يحاول التّقرّب من الوطنيين في صورة حملات جمع التوقيعات التي تقوم بها صحافة الحزب المصادرة أو المتابعة في الغالب لفائدة كل صحف المعارضة، أو تنشئ لها لجانًا

للدفاع عن حرية التعبير، وكانت هذه اللجان تقترح على الوطنيين تشكيل جبهات، مثلما ما حدث سنة 1950 من أجل التنديد (بالمؤامرة الكولونيالية) المزعومة عند حل المنظمة الخاصة (O.S) لحزب الشعب التي سنتحدث عنها لاحقا. كما اقترح في شهر نوفمبر من نفس السنة بمناسبة تجديد المجلس الجزائري جبهة ضد الامبريالية من أجل الاستقلال الوطني، لكن هذه الجبهة فشلت بعد الهجمات الشيوعية على الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وحركة انتصار الحريات الديمقراطية. وفي المقابل نجح الشيوعيون بعد انتخابات جوان 1951 بعد اتفاق بين "مصالي الحاج" والحزب الشيوعي الفرنسي، في جرّ الوطنيين إلى الدخول في (الجبهة الجزائرية من أجل الدفاع عن الحريات واحترامها)، غير أنهم وبأمر من الحزب الشيوعي الفرنسي رفضوا اتباع تكتيك مقاطعة الانتخابات التي يكون قادتهم قد قبلوا بها.<sup>(8)</sup>

### ب . جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عهد الإبراهيمي:

نظمت جمعية العلماء نفسها أيضا لتتلاءم مع الوضع الجديد، فهي جمعية وليست حزبا، وانما لها رأي في مجريات الأمور وفي كل ما يمس مستقبل البلاد، ولا سيما قضايا التعليم العربي والدين الإسلامي والحريات العامة والهوية الوطنية القائمة عن التاريخ المشترك ووحدة الأرض والشعب والقيم. ورغم أن "الإبراهيمي" كان معروفا في مجال الأدب والخطابة وفي ادارة مدرسة دار الحديث بتلمسان طيلة أكثر من عشر سنوات، فانه لم يكن معروفا للجميع كرئيس للجمعية، ولكن الأيام أثبتت أنه كان رئيسا محنكا وكان موضع تقدير زملائه لإخلاصه وكفاءته، رغم أن الاجماع عليه لم يكن في درجة الاجماع على "ابن باديس".<sup>(9)</sup>

وقد سير "الابراهيمي" الجمعية في ظروف صعبة، ورغم ذلك حققت الجمعية الكثير في عهده حيث حتى سنة 1951 أصبح للجمعية 123 مدرسة ذات هندسة منسجمة مع تاريخ العمران الإسلامي (الأندلسي)، وكان ذلك مقصود من الجمعية لتحافظ على الطراز التاريخي والذوق الفني، ولكي تفهم الأجيال تراث أجدادهم، أما عدد المعلمين فقد بلغ 175 معلما، وبلغت ميزانية الجمعية سنويا 37 مليون فرنكا. ومن أعمال الجمعية أيضا أنشأت لجنة عليا للتعليم والتفتيش استمرت إلى غاية 1956. كما أنشأت الجمعية بقسنطينة معهد "ابن باديس" وأصبح يضم 700 تلميذ واثنى عشر معلما، والدراسة فيه تعتبر جسا للتعليم الثانوي فهو يوصل إلى شهادة الأهلية ثم ينتقل تلاميذه إلى الزيتونة للحصول على شهادة التحصيل أو الثانوية العامة.<sup>(10)</sup>

كما عادت فبي عهده جريدة (البصائر) إلى الظهور من جديد، وكانت مقروءة في المغرب العربي والمشرق وحتى الأمريكيتين، وشاركت الجريدة قضية فلسطين وانتقدت العرب المتخاذلين. من جهة أخرى بسطت الجمعية وجريدتها القول في قضية فصل الدين عن الدولة، وقدمت مقترحات إلى النواب والمجلس الجزائري، وعالجها "الابراهيمي" في عدة مقالات متصلة الحلقات.

وفي جانفي غادر "الابراهيمي" الجزائر عبر فرنسا متجها إلى المشرق لكي يحضر مؤتمرا اسلاميا في باكستان ويديّر منحا لطلبة المعهد وأثناء غيابه وقعت تغييرات في الجمعية التي أصبح بها النائبان الشيخ "العربي التبسي" والشيخ "محمد خير الدين" يتنافسان على إدارة الجمعية، وأصبح "أحمد توفيق المدني" هو الكاتب العام ورئيس تحرير البصائر، ووقع بعض التمرد من الطلبة في القاهرة ضد سلطة مكتب الجمعية، وخصوصا ضغط الشيخ "الورتلاني" الذي كان يعمل . كما قيل . على إدخال الطلبة في حركة الأخوان المسلمين، بينما كان مكتب المغرب العربي في القاهرة يسيطر عليه حزب الشعب الجزائري، يعمل على جذب الطلاب إليه، وكان لهذه التطورات ارتداداتها في الجزائر لدى أولياء الطلبة والأساتذة، ولذلك طلب المجلس الإداري للجمعية في اجتماعه سبتمبر 1954، بعودة الشيخ "الابراهيمي" لإعطاء تفسير واضح عما حدث مع الطلبة، مع تقديم بيانات عن تأزم الوضع في الجزائر وحرص الجمعية من اتخاذ مواقف في غيابه.(11)

### ج . محطة جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها 1951:

منذ أن تولى الاشتراكي "مارسيل إديمون نايجلان" (Marcel Edmond Naegelen) الولاية العامة للجزائر في أواخر سنة 1947 أصبح تزوير الانتخابات مسألة مكشوفة تمارسها إدارة الاحتلال دون وجه حق ولا غطاء شرعي، وعندما كثرت الاعتداءات على الحريات المدنية والسياسية والاعتقال ومصادرة الصحف وإغلاق المدارس. نشرت جريدة (المنار) بلاغا صادرا في نهاية شهر جوان سنة 1951 عن العلماء والاتحاد الديمقراطي والحزب الشيوعي الجزائري وحركة انتصار الحريات الديمقراطية مفاده أن التشكيلات المذكورة قد أنشأت لجنة تحضيرية لتكوين جبهة جزائرية (للدفاع عن الحرية واحترامها) وذلك بهدف الوصول إلى النتائج التالية:

أ - إلغاء الانتخابات التشريعية التي جرت في 17 جوان 1951 والتي تولت الإدارة الاستعمارية خلالها تعيين أشخاص لا يمثلون جماهير الشعب الجزائري.

ب - احترام حرية التصويت في المجموعة الانتخابية الثانية.

ج - احترام الحريات الأساسية أي حرية الضمير، حرية الفكر، حرية الصحافة، وحرية الاجتماع.

د - محاربة القمع بجميع أنواعه والعمل على تحرير المعتقلين السياسيين وإلغاء الإجراءات التعسفية

المتخذة "الحاج مصالي".

هـ - إنهاء تدخل الإدارة الفرنسية في شؤون الدين الإسلامي.(12)

تأسست الجبهة رسميا يوم 05 أوت 1951 وتمّ الإعلان عن ذلك في قاعة (سينما دنيازاد) بالعاصمة، وبتلك المناسبة ألقى رئيسها الشيخ "العربي التبسي" خطابا جاء فيه على الخصوص ما يلي: ((هذه جبهة لا تسأل أحدا إن كان مسلما أو مسيحيا أو يهوديا. إنّما تسأله هل هو مناضل في سبيل

الحق، مكافح في سبيل الحرية .. ولو كانت لنا حكومة إسلامية بقطر الجزائر لما وجدت بيننا فروق ولما وقع التباين بين أحمد وموريس ولا بين فاطمة وماري)).

بعد أسبوعين من تاريخ التأسيس، دعت رئاسة الجبهة إلى مهرجان شعبي انعقد في الملعب البلدي بحسين داي يوم 19 أوت 1951 وحضره آلاف الجزائريين، وبذلك المناسبة ركز الشيخ "العربي التبسي" وهو يخاطب الجماهير الشعبية على ضرورة فصل الدين عن الحكومة واستتكر على الإدارة الاستعمارية معاملتها الشاذة للإسلام والمسلمين.

وفي إطار نشاط الجبهة، ساهمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تعبئة جماهير الشعب حول مطلب تقرير المصير، كما شاركت في كثير من المهام التي لها علاقة مباشرة بحماية حقوق المواطنين ومصالحهم، ويأتي في مقدمة تلك المهام العمل الجماعي الذي أنجزه وفد الجبهة الذي انتقل إلى ناحية أريس من أجل التحقيق في أعمال العنف التي تعرض لها سكان القرى المكونة للناحية، بسبب معارضتهم لمحاولات التزييف التي قامت بها الإدارة الاستعمارية بمناسبة انتخابات 17 جوان 1951.<sup>(13)</sup>

واصلت الجبهة نشاطها فاجتمعت في شهر مارس 1952 بخصوص القضية التونسية وفي 23 مارس أثناء إضراب عام أعلنته الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية عقب نفي "مصالي" إلى نيور (Niort) بفرنسا، ولكن الجبهة سرعان ما تفتت بسبب رفض الحزب الشيوعي إرسال الجبهة مذكرة إلى هيئة الأمم المتحدة عن الجزائر تعرض فيها أهداف الجبهة، وهو النص الذي رفضه الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وهو الأمر الذي أدى إلى خروجه من الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحريات واحترامها وحل الجبهة نفسها.<sup>(14)</sup>

(1) بن يوسف بن خدة، مصدر سابق، ص: 481. وأيضا: محفوظ قداش، تاريخ الحركة، مرجع سابق، ص: 1069.

(2) كان المسؤول الأول عن الحزب الشيوعي الفرنسي، وهو سكرتير سابق للأمية شيوعية.

(3) محفوظ قداش، تاريخ الحركة، مرجع سابق، ص: 1069.

(4) نفسه، ص: 1070.

(5) أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871، مرجع سابق، ص ص: 970-971.

(6) عبد الحميد زوزو، الفكر، ص ص: 574-575.

(7) أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871، مرجع سابق، ص: 971.

(8) أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871، مرجع سابق، ص: 973.

(9) أبو القاسم سعد الله، خلاصة، مرجع سابق، ص ص: 142 - 143.

(10) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (مرحلة الثورة 1954 - 1962)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007

ص: 21.

- 
- (11) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ص ص: 22 - 23.
- (12) محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص: 208.
- (13) نفسه، ص: 209.
- (14) أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871، مرجع سابق، ص: 973.